

رءوف عباس والجمعية التاريخية

د. عبد المنعم ابراهيم الجمعى

الأمىن العام للجمعية

18 أكتوبر 2008

بدأت علاقة رءوف عباس بالجمعية التاريخية فى عام 1966 وذلك بعد حصوله على درجة الماجستير وتركه العمل كمراجع للحسابات بالشركة المالية والصناعية بكفر الزيات، وانتقاله إلى القاهرة، وتفرغه لدراسة الدكتوراه. فبعد أن وجد فيه أستاذة المرحوم أحمد عزت عبد الكرىم الذى كان يتولى رئاسة الجمعية وقتذاك المثابرة وحب البحث والرغبة فى المعرفة، كلفه بمهمة لم تكن بالسهلة على باحث فى مثل سنه فى تلك الأيام وهى تقديم خدمة لطلبة الدراسات العليا، بعمل ثبت بعناوين الرسائل الجامعية فى التاريخ والآثار لدرجتي الماجستير والدكتوراه التى أجازتها جامعة القاهرة منذ إنشائها لتقوم الجمعية بطباعته ضمن إءداد مجلتها التاريخية، وعلى الرغم من صعوبة هذه المهمة خاصة وأنها كانت أول محاولة من نوعها فى هذا المجال فقد نجح الباحث رءوف عباس باقتدار فى إتمام هذا التكليف والذى تم نشره فى المجلد الثالث عشر من المجلة التاريخية عام 1967 مما زاد من اقتناع أستاذة به ، وجعله بمثابة العضد واليد اليمنى له فى إتمام المهام الصعبة المتعلقة بالجمعية فاختره أكثر من مرة أمىنا لجلسات اجتماع الجمعية العمومية ليتولى تسجيل ما يدور من مناقشات فى محاضر الجلسات، كما شجعه أستاذة على القاء أول محاضرة عامة فى حياته بالموسم الثقافى للجمعية وذلك فى وقت كان الصعود فيه إلى المنصة من المواقف الصعبة أمام الباحثىن الشبان فالقى بحثاً بعنوان: " استقرار الملكية الفردية فى الأرض الزراعية" نشرته الجمعية عام 1974 ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر عبر العصور.⁽¹⁾

وظل رءوف عباس يزاول خدماته للجمعية حتى انضم لمجلس إءارتها بعد انتخابات 1979/12/17 وكان بذلك من أوائل المؤرخىن الشبان الذىن يضمون لمجلس الإءارة الذى كانت عضويته حكراً على كبار الأساتذة حيث فاز بالعضوية بعدد من الأصوات يفوقه ما حصل عليه بعض كبار الأساتذة وفى 1992/9/27 اختير رءوف عباس أمىنا لصندوق الجمعية، كما تولى منصب الأمىن العام فى عام 1993 ومنصب نائب الرئىس فى عام 1997 وخلال ذلك بذل العءىد من الجهود لتطوير الجمعية والعمل على تذليل المصاعب التى كانت تكتنفها.

وفى عام 1999 تولى رءوف عباس رئاسة الجمعية فكان ذلك بمثابة ميلاد جءىدا لها حيث توسعت علاقات الجمعية بالعءىد من المؤسسات الثقافية وتوثقت صلاتها بالعملىن فى حقل الدراسات الانسانية على مءتلف أطيافهم سواء فى مصر أو أوربا وأمريكا حيث توافدوا على الجمعية يشاركون فى أعمالها وأنشطتها. وخلال ذلك تعرضت الجمعية لعبء ثقيل عرضها إلى توقف أعمالها وإفلاسها ذلك أن صدور قانون تأجير الأماكن غير المخصصة لأغراض السكنى وتضخم القيمة الايجابية لمقر الجمعية والذى تضاعف حوالى ثمانية أضعاف مما أدى إلى تعرض الجمعية للطرد من مكانها خاصة وأن الأمانة التى تقدمها الشؤون الاجتماعية لها لم تف بمواجهة هذه الزيادة الطارئة، وزاد الطين بله أن صاحب العقار الذى كانت تقطنه الجمعية (2 ناصر الدين المتفرع من شارع البستان بالقاهرة) رفع قضية عليها طالباً إخلاء المبنى لعدم تمكنها من سداد الأيجار. ونتيجة لذلك طرق رءوف عباس كافة الأبواب طالباً العون حتى تستطيع الجمعية التى تعد أقدم جمعية من نوعها فى العالم العربى الاستمرار فى أداء رسالتها فى خدمة تاريخ مصر والمنطقة العربية فلجأ إلى وزارة الثقافة طالباً مساعدتها فى امتلاك مقر خاص بها، ومع أن الأستاذ فاروق حسنى وزير الثقافة تعاطف مع الموقف ووافق على مساعدة الجمعية، فإن المبلغ الذى تحدد صرفه من صندوق التنمية الثقافية وهو عشرة آلاف جنيه لم يكف لانقاذ الموقف مما دفع رءوف عباس وبعض أعضاء مجلس إءارة الجمعية إلى اللجوء لبعض رعاة الثقافة فى الوطن العربى طالبىن مساعدة الجمعية فى امتلاك مقر خاص بها وقد لقيت دعوتهم استجابة وترحبياً من الشىخ سلطان القاسمى حاكم الشارقة الذى أهدى الجمعية مقرها الحالى بمدينة نصر بموجب عقد هبة تم توقيعه فى حفل افتتاح مقر الجمعية مساء الأربعاء 23 مايو 2001 بحضور بعض الوزراء وكبار رجال الدولة ورموز الحياة الثقافية. وكان ذلك بمثابة انطلاقة هامة لزيادة أنشطة الجمعية التى اتسع نشاطها اتساعاً ملحوظاً فالى جانب محاضرات الموسم الثقافى الذى تلقى فيه محاضرتان شهرياً والندوة السنوية فهناك سمنار التاريخ اليونانى الرومانى والتاريخ الاسلامى والوسيط ثم التاريخ المعاصر وهذه السمنارات تتناول قضايا المنهج ويتم التواصل فيها بين علم التاريخ والعلوم الانسانية الأخرى وقد قامت الجمعية بنشر أعمال هذه السمنارات.

(1) ص 275-294.

وإلى جانب ذلك فهناك مجلة الجمعية السنوية العربية والتي أدرجت في الدليل الدولي للمجلات العلمية أما عن مكتبة الجمعية الزاخرة بأهميات الكتب فبعد أن كان عملها يقتصر على الفترة المسائية فقط أصبحت تعمل من التاسعة صباحا حتى الساعة مساء كما تم تصنيف وفهرسة مقتنياتها وزودت بحجرة أسست بها مكتبة إلكترونية كما تم إقامة شبكة للحاسب الآلية وإعداد فهرس إلكتروني لمقتنياتها.

وهكذا كان رءوف عباس حريصا على أن تأخذ الجمعية التاريخية مكانتها اللائقة بها كمرکز علمي ثقافي متميز، ومنازة للعمل العلمي الذي لا يهدف سوى لخدمة تاريخ هذه الأمة، ومعهدا لإعداد الكوادر العلمية، ومع كل الجهود التي بذلها رءوف عباس فقد حاول بعض أعداء النجاح الذين لا ينتجون ويسوؤهم ان ينتج الناس، ولا يفكرون ولا يطبقون أن يروا غيرهم يفكرون، ولا يبغون الخير لهذا الوطن حاولوا الإساءة إلى هذا الرجل العظيم، فوجهوا الشائعات التي تحاول التقليل من جهود رءوف عباس ومع ذلك فقد كان كالنخيل الذي يسقط أحلى الرطب لمن يقذفه بالحجر، فلم تلن له قناة ولم تهتز ثقته بالآخرين بل ظل معطاء للخير يساند من يطلب من يد العون والمساعدة. سأله ذات مرة وبعد أن تكاتفت بعض قوى الشر عليه عند نشره كتاب " مشيناها خطى " ألم تغير موقفك بعد كل ما حدث وتقلل من مساعداتك للآخرين أو أن تنتقى بعض ما يستحق منهم المساعدة بعد أن ندر الوفاء وقل الانتماء أجبني أن في كل مكان يوجد الغث كما يوجد الثمين، وأن هذه طريقته التي تعود عليها وأنه لا يستطيع أن يغيرها فطالما يستطيع ان يفعل خيرا لأحد لا يتردد في الأمر وهكذا كانت نفس رءوف عباس غزيرة بالعباء وروح نيلة خيره وقامته طويلة عظيمة لا يخشى في الحق لومه لائم، يضحى بوقته من أجل الآخرين .

وإلى جانب ذلك فقد كان رءوف عباس عفيف النفس لا يقبل أن يمن عليه أحد حتى في أصعب المواقف ويكفي أن نذكر أنه عندما دامه المرض اللعين وبلغ ذلك الأمير سلطان القاسمي أمير الشارقة والذي بنى للجمعية مبناها الحالي عرض عليه أن يتكفل بعلاجه في أى دولة أوربية وعلى نفقته الخاصة ولكن الفقيه اعتذر عن قبول هذا الطلب بعد أن أبت عليه نفسه إلا أن يعالج في بلده وبالامكانات المتاحة داخل بلده التي خدمها حتى آخر أنفاسه.

لقد تمنى رءوف عباس في كتابه الأخير " مشيناها خطى " أن يموت واقفا كالأشجار، وألا يسقط القلم من يده، وان يظل قادرا على التفكير والابداع حتى يوجد بالنفس الأخير، وقد حقق الله له أمانيه، فظل حتى آخر لحظة من حياته يعطى المثل في العطاء رغم المرض اللعين وآلامه الذي لم يحن هامته له أو يشكو منه أو يتذمر بل حمل على أكتافه كل ما تبقى أمامه من مهام قام بانجازها حتى لا تتعطل أمور أحد، أو أن تتأخر أعمال كان قد وعد بها، فأصر على أن ينتهى من تحرير كتاب 9 مارس عن استقلال الجامعة وظل يقضى الساعات الطويلة متحملا آلام المرض لينهى تحرير هذا الكتاب قبل عقد المؤتمر السنوى للمجموعة في 9 مارس 2008 والذي رسم صورة واضحة للجامعة كبادرة للمشروع الوطنى النهضوى والنضال الوطنى، والكفاح من أجل استقلال الجامعات وإطلاق طاقات الحرية الأكاديمية من عقالها.

كما ظل رءوف عباس رغم المرض اللعين يتابع مسيرة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وأنشطتها والتي تعد ربييته ، وكانت شغله الشاغل قبل وفاته، موصيا أعضاء مجلس الإدارة بالمحافظة عليها والسير على الدرب الذى رسمه لها.

وإلى جانب ذلك فقد أوصى رءوف عباس بمتابعة أعمال طلابه الذين أنهوا رسائلهم العلمية أو كادوا حتى لا تتعثر أمورهم من بعده وظل عطاؤه لطلاب لا ينقطع حتى آخر نفس في حياته.

إن ما تركه رءوف عباس من تراث فكرى ، وعطاء انساني هو رصيد هائل نعتز به، وسيبقى مثالا مشرفا للأجيال الشابة التي تكافح من أجل تحقيق آمالها وتكوين أفكارها وإذا كان قد رحل عن دنيانا ، فان أعماله ستظل صورة حية ، ونموذجا صادقا لرجل حرص دائما على أن تكون حياته ثمرة للعمل والمثابرة والجدية والصدق والأمانة، والخلق الرفيع، والتواضع المستند على احساس عميق بالكرامة والكبرياء، والعشق الشديد لمصر وتاريخها لقد خسرت مصر والمدرسة التاريخية رمزا من رموزها الكبار، والرموز تذكر على الدوام وأبد الدهر فوداعا رءوف عباس مؤرخ البسطاء الذى فقدته المدرسة التاريخية، وخسارتنا كبيرة بفقدته.

رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته
وإنا لله وإنا إليه راجعون